كشف الأسرار

الإمام الخميني
«قدّس سرّه»

المقالة الثانية
في الامامة

السؤال الثالث وجوابه :

إذا كانت الإمامة الأصل الرابع من أصول المذهب وإذا كان ـ كما يقول المفسرون ـ أكثر آيات القرآن ناظرة إلى الإمامة فلماذا لم ينص الله على مثل هذا الأصل المهم ولو مرة في القرآن حتى لا يقع كل هذا النزاع وسفك الدماء على هذا الأمر . هؤلاء الجهال يصلون أحياناً في دعواهم العقلانية إلى أن يكونوا في مقام الأنبياء ويقولون العقل رسول الله القريب للإنسان قرب العين له لاحق له في أن يتحرك بدون أمره وأحياناً يصلون بالعمل الغبي إلى حد أنهم يظهرون في مثل هذا الأمر الذي هو من أوضاح أحكام العقل الترديد أو يظهرون الانكار بالكلية .

ونحن قبل أن نذكر الجواب عن هذا السؤال نرى الحاجة إلى أن نلقي نظرة عامة حول الإمامة ونطلب الحكم من العقلاء لنرى هل العقل الرسول الباطني يقر بالإمامة كأصل من أصول الدين المسلة ويرى ضرورة أن يعلن الله عن هذا الأصل للناس بعد أن كانت أعماله قد رسمت على أساس العقل أم لا ؟ ولعل الكلام ينتهي بيننا وبينكم ولا يحتاج إلى تعقيب . والكل يعلم أنه عندما كان الناس يرون فخرهم وعظمتهم بربهم بأن يجعلوا بيت النار أكبر من جميع بيوت النار أو بأن يجعلوا بيوت الأصنام أكثر فخراً وأصنامه أكبر وأن تصنع من المعادن الأغلى قيمة من كان ربّهم من ذهب في طول وعرض فإن أهميتهم وشموخهم أكثر من غيرهم حتى إنهم كانوا يأتون بالأرباب إلى الحروب يحملونها في العربات كما فعل أهل مكة إذ أتوا بهبل الصنم الكبير للحرب مع المسلمين . ففي مثل هذه الأيام أرسل الله نبي الإسلام وأول ما طرحه على البشر ذلك اليوم أن يحطموا هذه الآلهة التي صنعوها وأن يبلغوا الفلاح

بوحيد الله : ﴿ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ﴾ ثم أتى بالقوانين السماوية التي بأجمعها ترتكز على أساس العقل وبلّغها إلى البشر شيئاً فشيئاً ورمى بالأفكار الجاهلية وما ابتدعوه من أنفسهم وشكّل حكومة عادلة ترتكز على شريعة السماء . وقد وفّق بعد عشرين ونيّفاً من السنين أن يقيم بعد سلسلة جهود وتبليغات إلهية منطقية وسيرة عادلة وأخلاق عظيمة جالبة للقلوب وقوة سماوية وأرضية نادرة وبعد تضحيات المضحين في سبيل الدين الإلهي المقدس ، تشكيلات تقوم على العدالة والتوحيد ولم يتوقف رسول الإسلام عن بذل الجهد حتى آخر العمر كما هو معلوم للجميع ومنصوص في التواريخ واستمر في إقرار توحيد الله وتوحيد الكلمة والعقيدة حتى يقيم الدين والمذهب ونظام المدينة الفاضلة . والآن نحن نسأل عقلاء العالم والذين يمسكون بزمام الأمور في الدنيا هل لإبقاء هذا الأساس المحكم والدين السماوي الكبير أهمية في محافل العقلاء ويرون أن تثبيت الله لهذا الأساس بواسطة رسول الإسلام أمر لازم أم يتلقونه ببرودة واستهتار بحيث يكون بقاؤه وعدمه سواء فلا فرق بين أن يعود الناس بلا دين وبين أن يكونوا متدينين وإذا كان الأمر كذلك فإن بمقدور المفكرين حينئذٍ أن يقفوا معترضين على الله أنه إذا كانت هذه الحكومة وهذا الدين وجودهما كعدمهما فلماذا أرسلت رسولاً وأنزلت كتاباً . وبالتأكيد أنتم تنزهون الله من عدم الاعتناء بالعدل والتوحيد وحينئذٍ يجب أن يعطي أوامره لتركيز هذا الأساس بعد النبي حتى لا يبقى الناس من دون تكليف بعده ولا تصير البلاد والدين تتلاعب بها الأهواء وحب الرئاسة . أن نبيّاً لم يدع صغيرة أو كبيرة ألا وبين حكمها حتى أحكام المرحاض والخلوة مع المرأة ورضاعة الطفل فإن لم يذكر حكم هذا الأمر المهم الذي يرتكز عليه بقاء أساس الدعوة والنبوة وتتوقف عليه أسس التوحيد والعدالة وإن لم يشر بأية كلمة طول عمره عن هذا الأمر ويدع الدين الإلهي عرضة لأغراض حفنة الغزاة ليقوموا بعد موته بكل تلك الأعمال التي يعلمها الجميع طلباً للرئاسة والتي ذكرت في كتب السنة والشيعة وكتب التواريخ . فإن هذا النبي سيكون مورد اعتراض من قبل مفكري العالم وسيُلام ولن يعترفوا بنبوته وعدله وانصافه . إن نبينا يقول من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية أي مات كافراً ويأمره الله لأجل الوصية ويرسله بآيات القرآن فإذا لم ينطق بكلمة تجاه هذا الأمر الذي هو أهم الأمور والوصيّة به أولى من كل شيء وأحوج ولم يعمل بقول الله فما هو الاعتبار الذي يمكن أن يعطى لمثل هذا النبي . نحن نعبد إلهاً نعرف أن أعماله ترتكز على أساس العقل ولا يعمل عملاً يخالف العقل ، لا إلهاً يبني بناء شامخاً من التألّه والعدالة

والتدين ثم يخربه بيده ويعطي الامارة ليزيد ومعاوية وعثمان وأمثالهم من المهاجمين ولا يحدد المطلوب من الناس بعد النبي إلى الأبد حتى لا يساعد في تأسيس بناء الظلم والجور .

إن رئيساً تحت يده خمسون موظفاً أو رب عائلة مؤلفة من عشرة أشخاص إذا أراد أن يسافر لشهرين لا يبقى المصنع أو العائلة من دون أن يحدد المطلوب منهم أو بلا مسؤول فكيف برسول الإسلام الذي أتى بآلاف التشريعات السماوية العظيمة والإلهية المحكمة وأقام نظاماً عقلائياً شامخاً وحكومة إلهية عادلة وهو يريد أن يرحل عن هذه الأمة إلى الأبد وقد عرف خلاف الثلاثين أو الأربعين سنة الخائنين والمنافقين والله مطلع وعالم بأن حكومات جائرة ستتشكل بعده وسيجعلون الدين غطاء لأغراضهم المسمومة فالعقل هنا هل يقول بوجوب أن يؤتى بهذا العمل الأخير الذي هو أعظم الأعمال لبقاء أساس التوحيد والعدالة أم يقول يضع دينه تحت يد جماعة معلومة الحال عندما يموت سيزلزلون الأمور وينشرون الفوضى ليصلوا إلى الرئاسة والحكومة وأن يشعلوا الفتنة من ذلك الحين . ويتراجع عن الهداية والارشاد لصلاح الأمة حيث عرّفهم ذلك خلال أكثر من عشرين سنة وأنزل الله خلالها من القرآن « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » وحينئذٍ ، وهو حين تزلزل أساس التوحيد والعدالة وأمة القرآن هي أحوج ما تكون إلى التنصيص على المطلوب منها بعد النبي ، يدعهم في هذا الحين متحيرين . ماذا يقول عقلكم وجميع العقلاء . ماذا يقول هذا الرسول القريب من الإنسان قرب العين له هل لا يحكم بأي شيء أبداً في هذا المجال أم يحكم بأنه لا يلزم على الله والنبي التصرف وفق حكم العقل بل يمكن أن يقوم بأعمال لا نفع لها يأتي بنظام عظيم تصنعه يداه ثم بخربه فوراً . أم يقول أن الإمامة أصل مسلم في الإسلام حدّده الله سواء أتى على ذكره في القرآن أم فرضنا أنه لم يأت على ذكره .

دليلٌ من القرآن على الإمامة :

هؤلاء الساعون وراء الفتن كأنهم آتون حديثاً من صحراء افريقيا ليس لهم أدنى علاقة مع أصول الإسلام وفروعه ولا اطلاع لهم أبداً على تاريخ الإسلام والجهود التي بذلها رسول الإسلام في الإمامة . والبحث في الإمامة بحر لا ينتهي بحيث أن تعداد الكتب التي كتبت فيها من ابتداء صدر الإسلام حتى الآن يحتاج إلى كتاب وقد أحصى